الولاء والبراء

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، ولـه الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخـرج الميـت من الحـيّ ، ويحـي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرِّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً .....

أما بعد أيها المسلمون:

إن حديثنا اليوم ، عن قضية مهمة جداً ، ألا وهي قضية الولاء والبراء، وقد يسأل سائل: ما هو هذا الولاء والبراء الذي تُحدِثُونا عنه .

فنقول باختصار : إن الولاء هو: الحب للمسلمين ، **وإن البراءهو :** البغض للكافرين والجاحدين والمنافقين، وقد جاء في القرآن الكريم ما يقرر هذه القضية، قضية الولاء والبراء، فقد جاء تأكيد على أنها قضية حاسمة جازمة ، لا تقبل التمييع أو المهادنة ، إنها القضية التي أبان فيها القرآن رأيه وحكمه ، بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾(المائدة : ٥٥- ٥٦) فجاءت الآيات ، صارمة صارخة واضحة ، تبين هذه المسألة ، ولمن يكون الولاء والبراء ، حيث قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ (الممتحنة :١) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ (المائدة: ٥١) ، ولذا فقه الجيل الأول من المهاجرين والأنصار هذه المسألة ، فلم يقبلوا فيها مساومة أو مهادنة أو محاباة ، أمّا اليوم ، فنحن بحاجة ماسة إلى التأصيل في قضايا العقيدة ، حتى يعلم كل مسلم أنه ليس حراً في توزيع ولاءآته ، ليس حراً في بعثرة جهوده وإنتماءآته ، ليس حراً في حبّه لأعدآئه ، فكل صف لا يتخذ الإسلام ديناً وعقيدة ومنهجاً ، الشأن بيننا وبينه المفاصلة والمدابرة والمقاطعة ، لأن المسألة في صميمها مسألة عقيدة وإسلام ، حتى لا يكون الإسلام مجرد كلمة تقال ، أو راية وشعار ، أو دعاية وإعلان.

سبب الحديث عن الموضوع:

وسبب حديثي عن الولاء والبراء في هذا المقام ، هو ما رأيناه ونراه في هذه الأزمنة المتأخرة ، من تساهل المسلمين في قضية الولاء والبراء ، فأصبح بعض الناس يستحسن الولاء للكفار ، ويعده من باب المجاملات الرقيقة ، أو من باب المصلحة ، وقد نسمع اليوم ، دعوات وصيحات ، ذات اليمين وذات الشمال ، تدعوا إلى موالاة الكفار ، واتخاذهم أحباباً وأخلاء ، وهذا أمر في غاية الخطورة ، لأن الخير والشر ، والحق والباطل، والإسلام والجاهلية ، في صراع مرير ودائم إلى أن تقوم الساعة ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ (البقرة : ٢١٧) ولذلك فإن قضية الصراع ، لا بد أن تستمر ، ونظرية التفرد والسيادة، التي يسعى إليها الغربيون ، لا يمكن أن تتحقق ، لأن من سنن الله التدافع والتنازع والاختلاف ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ (هود:١١٨-١١٩) وعليه لا يمكن أن يبقى أحد متفرد بالهيمنة والألوهية والسيطرة

الكاملة، إلّا إله واحد، هو الله رب العالمين ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾(الأنعام :٦٢) لقد حاولت قريش، عبر المفاوضات الدبلوماسية، وقدّمت العروض، من أجل أن تَنَال شيئاً يفتُّ في قضية الولاء والبراء، فقالوا: يا محمد، اعبد إلهنا سنة، ونعبد ربك سنة، فنزلت سورة الكافرون، تبين هذه المفاصلة، وتقرر حتميّة المواجهة مع الكفار، في مسألة الولاء والبراء، في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ (الكافرون :١- ٦) لقد حاولوا بكل شيء، حتى عرضوا عليه الملك والرئاسة، والجاه والسلطان، بعد أن عرضوا عليه المال والطب والنساء، من أجل ذوبان قضية الولاء والبراء، لكنه لم يفعل، ولم يقبل منهم ذلك، بل قال كما جاء في السيرة: **(يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر، ما تركته، أو أهلك دونه)** بمعنى أن المسألة لا تحتاج إلى تفاوض، أو إلى هدنة، أو إلى تأجيل، أو إلى مراحل، ورغم أن هذه القضية، قضية الولاء والبراء، اعتنى بها النبي ﷺ غاية العناية، إلّا أن كثيراً من المسلمين اليوم، يجهلون قضية الولاء والبراء، ويعيشون انفصاماً وتنكراً لهذه القضية، فمرة يوالون، ومرة يعادون من حيث لا يعلمون، فقد أصبح غالب ولاء الناس وبَرائهم، من أجل هذه الدنيا، فإن أعطوا منها رضوا، وإن لم يعطو منها، إذاهم يسخطون، فقد جهل كثير من المسلمين اليوم هذه المسألة، حتى بتنا -ويا للأسف- نسمع في بعض المناسبات من يقول للكفار: إخواننا، واليهود: إخواننا، والنصارى: إخواننا، بل قد سمعنا زعيماً عربياً يقول: أخي رابين اليهودي، ولا حول ولا قوة إلّا بالله، واليوم قد نسمع من يقول: أن بوش أخوه من

الرضاعة، الله أكبر، أين الولاء والبراء من الكفار، أين نذهب بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾(المائدة:٥١) أين نذهب بقوله تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ (النساء : ٨٩) إذًا ليسوا لنا بأخوة، وليسوا لنا بأولياء، وإن حصل بيننا وبينهم تعاملات أو علاقات أو تجارات، أمّا المؤمنون فهم إخواننا في الدين والعقيدة، وإن تباعدت بيننا وبينهم الأنساب، والأحساب، والأوطان، والأزمان، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحشر:١٠) إذًا ما الذي يجعلنا نعطي ولائنا للمؤمنين ؟ ما الذي يجعلنا نحب خالد بن الوليد وأبا بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وابن تيمية وأحمد بن حنبل، والشافعي والإمام مالك، وما الذي يجعلنا نكره فرعون وهامان وأبو جهل، وأبو لهب، وفراعنة اليوم؟ فنحن اليوم نكره الفراعنة المتسلطين على هذه الأمة، ونكره الظالمين والمتكبرين ،ونكره المجرمين، ونكره الكذابين والمرتشين، ونكره أولئك الذين يجلسون مع الكفار في طاولة واحدة، ونكره أولئك الذين يعانقون أعداء الإسلام، ويقبلونهم في ذلة وصغار، نكره أولئك العملاء لليهود والأمريكان، ونحب المؤمنين الطيبين ونواليهم، ونبغض الكافرين ونعاديهم، نبغض بوش وبلير وكل من يأتي من بعدهم، أو ينتسب لهم بصلة، أو يقف معهم، أو يساندهم، أو يواليهم من دون المؤمنين، لماذا؟ لأنهم أعداء الإسلام، ومع ذلك نعطي كل ولائنا وحبّنا للمسلمين، ولاشيء يحبس ولائنا للمؤمنين، فنحن نحب الأعاجم من المسلمين الذين لا يعرفون من العربية حرفاً واحداً،

ونحب أقواماً تفصل بيننا وبينهم البحار والمحيطات، ونحب أقواماً ليس بيننا وبينهم أنساب ولا قرابات، لماذا؟ لأنهم مسلمون:

إن يختلف مـاء الـوصـال ∴ فماؤنا عذب تحدر من غمام واحد
أو يختلف نسب يؤلف بيننا ∴ ديـن أقـمـنـاه مـقـام الـوالـد

وبناءً على ذلك، ينبغي لعامة المسلمين، أن يقيموا بينهم وبين إخوانهم جسراً راسخاً، من عقيدة الولاء والبراء، وألاّ يتدابروا، وألاّ يتقاطعوا، بسبب تقاطع الأنظمة أو تقاطع الحكومات، فقد يحصل بين دولة ودولة، حرب أو مشكلات، ولكن مع ذلك يجب أن يبقى المسلم مسلماً بإسلاميّته، ومستحقاً للولاء، أياً كانت دولته أو قيادته، أو جنسه أو لونه، لأن بعض الناس، يظن أن مسألة الولاء والبراء، مسألة جغرافية، أو حدودية، كلا، إنها عقيدة أزلية ولائية لكل المسلمين، لا فرق بين عربي ولا عجمي إلّا بالتقوى، ولا فرق بين: أحمر، وأصفر، وأبيض، وأسود، كلهم لآدم، وآدم من تراب.

موقف المسلمين من الكفار :

ولهذا يجب أن يكون ولائنا وحبنا للمسلمين، أمّا الكفار، فليس بيننا وبينهم ولاءات، وليس بيننا وبينهم علاقات، في ظل هذه الهجمة الشرسة، والهيمنة الاستعمارية، ولكن بعض المسلمين اليوم، يقولون: لا بدّ أن ندخل مع هؤلاء الكفار في علاقات، لا بد أن ندخل معهم في ولاءات وتكتلات، ولا بد أن يكون لنا مكانة عندهم، والله عز وجل قد بين هذه المفارقة العجيبة، بقوله تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ (النساء :١٣٩) يريدون منهم المكانة والرفعة والمال والتسهيلات، كلا، فهؤلاء

المتذللين لأسيادهم الغربيين ، قد هدموا عقيدة الولاء والبراء ، ولذلك قال الله عن أولئك المنافقين الذين هدموا عقيدة الولاء والبراء ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ (النساء :١٣٩) كذلك بعض المسلمين الذين يتولون الكفار ، قد ميّعوا قضية الولاء والبراء ، وذلك نتيجة ، لخواء إيمانهم ، وخوفهم من أسيادهم المتسلطين على رقابهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (المائدة :٨١) واليوم إذا سألناهم: لماذا هذا التساقط وهذا الانبطاح أمام الكفار ، بهذه الصورة الرخيصة الدنيئة ، سيقولون ﴿ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ (المائدة : ٥٢) نخشى ونخاف من الكفار ، نخشى ونخاف من الأمريكان ، ولذلك يقول الله عنهم : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾(المائدة :٥٢) هذه المقولة الانهزامية ﴿ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ قد تبناها المنافقون ، عندما نزلت سورة برآءة ، ألا يحج بالبيت مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، فقالوا: هذا يمكن أن يؤثر على تجارتنا ، ويمكن أن يضر بالاقتصاد على المسلمين في مكة ، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ التوبة الآية (٢٨) وعلى سبيل المثال ، قد يقال في هذا الزمان: إن السياحة في بلاد المسلمين ، قد يصيبها أضرار وانتكاسات ، إذا قطعنا علاقاتنا مع الكفار ، فنقول كما يقول ربنا سبحانه وتعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ إن خفتم على الموارد السياحية والاقتصادية ، فسوف يفتح الله لكم موارد أخرى ، تذكيراً بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ (الملك : ١٥) .

الولاء والبراء من أصول التوحيد:

إذًا الولاء والبراء أصل من أصول الإسلام والإيمان ، ولن يتحقق التوحيد في الأرض إلّا بتحقيق مبدأ الولاء والبراء ، فقد يحسب بعض الناس ، أن هذا المفهوم العقدي الكبير ، قضية جزئية أو ثانوية ، بل إنها قضية إيمان وكفر ، إسلام وجاهلية ، كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (التوبة : ٢٣، ٢٤)

ولقد مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاثة عشر عاماً يدعوا الناس إلى هذه العقيدة ، عقيدة الولاء والبراء فإذا عرفت هذا ، عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولا إيمان ، إلّا بتحقيق مبدأ الولاء والبراء من المشركين والكافرين ، والتصريح لهم بذلك ، كما قال تعالى في سورة المجادلة : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ ﴾ (المجادلة : ٢٢) .

وعليه يتضح مما سبق : أن الولاء والبراء ، من لوازم لا إله إلّا الله ، ولا يكفي أن يقول الناس: لا إله إلّا الله ، وهم يوالون أعداء الله ، لذلك فهمت قريش هذه الكلمة ، وأن معناها: البراءة والمفاصلة بين أهل الإيمان وأهل الكفر ، معناها: أن المسلم يجب أن يبقى مسلماً بإسلاميته ، وأن الكافر يجب أن يبقى كافراً بكفره وعناده ، معناها: أن تتبرئ قريش من

كل الطواغيت الجاهلية ، وتعلن ولائها للإسلام ولمحمد عليه الصلاة والسلام ، وعليه نقول: لا يجوز أن يتميّع المسلم مع غيره من الكافرين ، ولا يظهر لهم الولاء ، بحيث يتعايش معهم ، أو يحافظ على مشاعرهم ، خوفاً عليهم وعلى نفسه ، أن يصموه بالتشدد أو التزمت ، بل يجب على المسلم أن يعتز بإسلامه، ويظهر شرائع دينه ، غير آبه بغضب أولئك ، أو مراعاة ظروفهم ومشاعرهم نحو المسلمين ، فقد كان الأمر واضحاً لرسوله ﷺ أنه لا خيار له من الإعلان بالإسلام وشرائعه ، مهما كانت النتائج ، ومهما غضب عليه المشركون ، أو الكافرون ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (الحجر :٢٤) ومن هنا: استحق المؤمنون أن يكونوا من أولياء الله لإنهم استجابوا للحق والهدى ، أمّا أولئك المنافقين فهم أولياء الشيطان لأن من سماتهم أنهم يعادون أولياء الله ، ويحاربون الإسلام ، ويقفون دائماً في صف الكافرين وخندقهم ، ولذلك يصف الله حال الفريقين ، فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ (البقرة : ٢٥٧).

الولاء والبراء عند المؤمنين السابقين :

أيها المؤمنون: إن هذا الولاء والبراء الذي حدّثناكم به سابقاً ، والذي نحدِّثكم به اليوم ، لا بد أن يكون لله ولرسوله وللمؤمنين، وهذه الولاية الإيمانية ، يجب أن تصبّ في خانة الإسلام ، ويجب ألاّ نحصرها لحزب بعينه، أو جماعة بعينها ، أو لدعوة غير الإسلام، ولكن لكل مسلم في أي أرض ، وتحت أي سماء ، هي للإسلام ما بقي الإسلام، ميزتها أنها لله، وأنها تبقى ولا تفنى ، وأن منتهاها الجنة ، كما قال تعالى : ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾(الزخرف: ٦٧) وقد ضرب إبراهيم عليه السلام أروع الأمثلة في هذه الولاية ، حينما تبرءَ من قومه وعشيرته الكافرين، حيث قال : ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾(الممتحنة :٤) وكان من نتيجة هذه المعاداة ، وهذا البراء القوي ، أنْ أجمع الطغاة على قتله ، والتنكيل به ،حيث : ﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾(الصافات :٩٧، ٩٨) ومن هذه الأمثلة التي نريد أن نتحدث عنها باختصار ، نوح عليه السلام وموقفه من ابنه الذي فاصله ، وأعلن البراءة منه ، بعد أن عاتبه الله بقوله : ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (هود : ٤٦) وهنا يأتي الاعتذار والإذعان والتسليم الكامل لأمر الله القائل: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (هود :٤٧) وعلى النقيض من هذه الأفعال ، إمرأة فرعون التي آمنت بالله وتبرأت من صلتها بفرعون وعمله ، فقالت : ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (التحريم:١١) إنَّ وقوف تلك المرأة المؤمنة لوحدها ، أمام ذلك اللئيم الجبار ، لتستعلي بإيمانها ، إنه لمثل رائع جميل ، وهناك أيضاً: نموذج آخر لهذا الولاء الرفيع ، الذي أعلنه مؤمن آل فرعون ، حينما قال فرعون ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (غافر : ٢٦) فقال ذلك الرجل الذي كان يكتم إيمانه: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ

﴿ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾(غافر: ٢٨) وأخيراً: نقف مع الفتية الذين فرّوا بدينهم إلى الكهف ، وأعلنوها من هناك ، أنه لا ولاء بينهم وبين الكفار ، وأنه لا يمكن أن يتحالفوا مع الكفار تحت راية واحدة ، كما قال تعالى : ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾ (الكهف : ١٣- ١٤).

الولاء والبراء عند رسول الله ﷺ :

أيها المسلمون: إن أكبر مثال نقدمه لكم في تطبيق الولاء والبراء عند المسلمين ، ما جرى للنبي ﷺ مع قومه المشركين في مكة ، حينما رأى المشركون صلابة المسلمين في دينهم ، واستعلائهم في عقيدتهم ، أرادوا أن يميُّعوا مفهوم الولاء والبراء عند المسلمين ، فقالوا: يا محمد ، نعبد إلهك سنة ، وتعبد آلهتنا سنة، فأنزل الله سورة المفاصلة ، أي سورة الكافرون ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ (الكافرون :١- ٦) ، ونزل قوله تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (الحجر:٩٤) ، ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (الشعراء :٢١٤) فاستجاب النبي ﷺ لهذا الأمر الإلهي من فوره ، وبدأ يعلن البراءة من الكافرين ، وجعل ينادي في بطون العرب ، قبيلة ، قبيلة ، وهو يقول: **يا بني هاشم ، يا بني مرة ، يا بني عبد مناف ، حتى إذا اجتمعوا إليه ، قال لهم: أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد ، أنقذي نفسك من النار ، فإني لا أغني عنك من الله شيئاً)** ثم بعد ذلك أذن الله له بالهجرة إلى المدينة ، وأمره بقتال الكافرين ، وليس مداهنتهم أو محاباتهم ، حيث قال ربنا سبحانه

وتعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ (التوبة :٥) ثم نزلت سورة التوبة تعلن البراءة من المشركين ، استناداً إلى قوله تعالى : ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ ﴾ (التوبة : ١- ٢) .

وبعد نزول هذه السورة ، أمر النبي ﷺ بالأحكام التالية ، أولاً:

١-منع المشركين من دخول المسجد الحرام ، استجابة لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (التوبة : ٢٨).

٢- جاء الأمر بمنع النكاح من المشركين والمشركات ، حيث قال ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾(البقرة : ٢٢٢).

ومن الأحكام التي أمر بها النبي ﷺ :

٣-منع المسلمين من الإقامة في دار المشركين والكفار ، حيث قال عليه الصلاة والسلام (أنا بريئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين) وكذلك السفر إلى بلادهم لغرض النزهة أو السياحة ، كما في الحديث السابق ، أمّا إن كان للدعوة أو العلاج ، أو طلب العلم ، فهذا لا بأس به إن شاء ، كذلك لا يجوز:

OBEIKAN.COM

٤-الاستعانة بهم ، واتخاذهم بطانة ومستشارين من دون المؤمنين، لأن الله -عز وجل- يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (آل عمران : ١١٨) وعليه؛ فلا يجوز إتخاذهم بطانة من دون المؤمنين ، لما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت لعمر بن الخطاب ، إن لي كاتب نصراني ، فقال عمر رضي الله عنه : قاتلك الله ، ألا اتخذت حنيفاً مسلماً) ولهذا كتب عمر إلى أبي هريرة كتاباً ، جاء فيه : ولا تستعن في أمر من أمور المسلمين بمشرك ، وساعد على مصالح المسلمين بنفسك ، فإنما أنت رجل منهم ، غير أن الله تعالى جعلك حاملا لأثقالهم) .

وكتب عمر بن عبد العزيز -رحمه الله - إلى أحد عماله في الأمصار :

أما بعد: فإنه بلغني أن عندك كاتباً نصرانياً يتصرف في مصالح المسلمين، والله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (المائدة :٥٧) فإذا أتاك كتابي هذا فادع ذلك الكاتب النصراني إلى الإسلام ، فإن أسلم فهو منا ونحن منه، وإن أبى فلا تستعن به) وقد فشا استخدام أهل الكتاب في أيام الخلافة العباسية ، فنهض أحد العلماء ، وهو شبيب بن شيبة ، بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا الشأن ، وحذّر أبا جعفر المنصور من استخدام أهل الكتاب في مصالح المسلمين ، ولكن نشاهد اليوم كثيراً من هؤلاء الكفار والمسيحيين ينتشرون في بلاد المسلمين ، في طولها وعرضها ، وتجدهم في المصانع والشركات ، والمؤسسات العامة والخاصة ، تحت ما يسمى بالأيدي العاملة والخبراء المدنيين والعسكريين ،

وتارة باسم الأطباء والمهندسين ، وهكذا دواليك ، بينما يوجد من العقول المفكرة ، والأيدي العاملة المسلمة ، من هي أكثر كفاءة ، وأكثر إتقاناً من غيرها ، ولكن نجد أن هذه العقول المفكرة تهمّش في بلادها ، ويضيق عليها ، فتذهب إلى الخارج بحثاً عن حياة أفضل ، وممّا أذكر أني قرأت في إحدى الصحف الإسلامية أنه يوجد أكثر من (٤٠٠)ألف طبيب مسلم ، قد انتشروا في الدول الغربية والأوروبية ، وتركوا أوطانهم ، ومن العجب أيها الأخوة ، ما وقع لكثير من المسلمين اليوم ، فإنهم يأتون بالكفار إلى بلاد الإسلام وإلى الجزيرة العربية ، ويستخدمونهم عمالاً وسائقين ومربين وغير ذلك ، والله عز وجل يقول : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾ (آل عمران : ١١٩).

كذلك من الولاء والبراء لا يجوز :

٥-التأريخ بتاريخهم ، لأنه يعبّر عن طقوسهم وعبادتهم ، كالتاريخ الميلادي ، الذي هو عبارة عن ذكرى ميلاد عيسى عليه السلام ، ولهذا السبب، لمّا أراد الصحابة -رضوان الله عليهم - أن يضعوا تاريخاً للمسلمين ، وضعوه استنادًا بهجرة النبي ﷺ إلى المدينة ، كذلك من الولاء والبراء ، لا يجوز .

٦-مشاركتهم في أعيادهم الوطنية، أو الدينية ، أو تهنئتهم بمناسبتها، لأن في ذلك موالاة لهم ، وقد جاء في معنى الآية الكريمه ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ (الفرقان : ٧٢) أي: لا يحضرون أعياد الكفار وأفراحهم، ولذلك لا يجوز لمسلم أن يشارك أعداء الله في أعيادهم ، فعن أنس بن

مالك رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قدم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال: ما هذان اليومان ، قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال ﷺ : **إن الله قد أبدلكما خيراً منهما ، يوم الأضحى ويوم الفطر**) النبي ﷺ نهانا أن نشاركهم في أعيادهم الدينية ، ولم يكن يعلم أنه سيكون لهم أعياداً أخرى ، كعيد الأم، وعيد الميلاد ، وعيد العمال ، وعيد الدجاج ، وغيرها من الأعياد التي ما أنزل الله بها من سلطان ، ولذلك يقول عمر رضي الله عنه : اجتنبوا أعداء الله في أعيادهم ، كذلك من الولاء والبراء ، لا يجوز :

٧-التسمّي بأسمائهم: ولكن مع الأسف الشديد ، فقد أصبح بعض المسلمين اليوم ، يسمون أبناءهم بأسماء أجنبية ، وتركوا أسماء آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم ، والأسماء المعروفة في مجتمعهم ، وقد بين ذلك النبي ﷺ بقوله : (**خير الأسماء، عبد الله ، وعبد الرحمن**) ولكن وجد جيل من المسلمين اليوم ، يحمل أسماءً غريبة وغربيّة ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله، كذلك لا يجوز :

٨-الاستغفار لهم والترحم عليهم: لأن الله -عز وجل- قد حرّم ذلك بقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ (التوبة :١١٣) ويقول تعالى في شأن المنافقين : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (التوبة : ٨٤) فإذا كان هذا مع المنافقين ، فما بالكم بالكافرين ، ولكن رأينا بعض المسلمين من يحزن أو حزن على تلك العاهرة التي تسمى ديانا ، عندما هلكت ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

OBEIKAN.COM

الولاء والبراء عند الصحابة :

ولهذا يجب أن نعلم أن مبدأ الولاء والبراء في الإسلام لا يعرف تبعيضاً ولا تجزءة عند المسلمين، ولا يقدم قريباً لقرابته أو بعيداً لوجاهته، ولذلك جاءت المفاصلة التامة بين المؤمنين وأقربائهم من الكفار المعادين لله ولرسوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (التوبة:٢٣) ثم يأتي التحذير الأقوى ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ﴾ (المجادلة :٢٢) لقد نزلت هذه الآية ، في أبي عبيدة عامر بن الجراح ، حينما قتل أباه في معركة بدر ، لأنه كان كافراً بالله ، محارباً لله ولرسوله ﷺ ولم تكن صلة الأبوة ، لتمنعه من قتل أبيه ، الذي اختار لنفسه أن يكون في حزب الشيطان، ومن الأمثلة على ولاء المسلمين لدينهم ، موقف صحابة رسول الله ﷺ من الثلاثة الذين خُلِّفوا عن غزوة تبوك ، أمر النبي ﷺ بمقاطعتهم وعدم الحديث معهم ، ولهذا لم يكلمهم أحد ، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، منهم كعب بن مالك رضي الله عنه أحد الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك ، فهجرته زوجته وذهبت إلى أهلها، وبينما هو كذلك يعيش حياة الهجر والحرمان ، إذ يأتيه أمر عجيب ، وبلاء عظيم، يستدعيه مَلِك غسان، ويريد أن يساومه في دينه ويتنصّر ، فيقول كعب ابن مالك رضي الله عنه عن نفسه: فبينما أنا أمشي في سوق المدينة ، وإذا نبطيٌ من أنباط أهل الشام، ممّن قَدِمَ بالطعام إلى المدينة يبيعه ، يقول: من يدلني على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يُشيرون له نحوي ، حتى إذا جاءني

دفع إليّ كتاباً من ملك غسان ، فإذا به ،أما بعد: فإنه بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعه ، فالحق بنا نواسيك) أي: أن صاحبك محمد أعرض عنك وهجرك ، وأمر الناس بهجرك ولا يكلمك أحد، فتعال إلينا نواسيك ونكلمك ونحدثك ، وتدخل معنا في النصرانية، وتترك محمداً ودينه ، هذا هو الاختيار الأصعب ، والابتلاء الشديد، مع دواعي الإغراء والأغواء، لكن كعب بن مالك رضي الله عنه ، لم يستجب لهذه الإغراءات الدنيئة ، وأعلن ولائه للإسلام ، وأنه لن يتنازل عن دينه مهما حاول أعداء الإسلام أن يتوددوا إليه بكلامهم المعسول، ووعودهم القرمزية ، فإن تلك الأحاسيس الرهيفة والمشاعر الفياضة التي أبداها ملك غسان لكعب بن مالك رضي الله عنه ،لم تؤثر فيه بل زادته ثباتاً وصبراً على دينه الذي آمن به، مما جعله يضع تلك الرسالة في التنور تغليباً لدينه على تلك الشهوات وملذاتها ، أمّا اليوم ، فقد نجد من بعض المسلمين من يتنازل عن دينه وولائه ،حتى لو نال من أعدائه على شيء رخيص أو فتات يسير، أو نال من أعدائه على وعود كاذبة ، أو مال زهيد، فكم من المسلمين اليوم، من يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل، ومنهم من شاهد حضارة الغربيين ، فتمنى أن يعيش معهم أو مثلهم ، ومنهم من شاهد مبدأ العدل والمساواة والحرية التي يعيشونها في بلادهم، فتمنى أن يحشر معهم وفي زمرتهم ، وبعض المسلمين عندما يشاهد تلك الحقائق والإيجابيات في بلادهم ،فإنه قد يسأل ويقول: إن بلادهم أفضل من بلادنا، وإن دينهم أفضل من ديننا، وهذا والعياذ بالله خروج من دائرة الإسلام ، لأن هذه المقولة الكفريّة ، تناقض صريح الآية الكريمة ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ آل عمران الآية(١١٠).

المشابهة للكفار:

إذاً قضية الـولاء والبراء، التي معناها في الإسلام، يجب أن يكون الولاء والحب للمسلمين، والبغض والكراهية للكافرين والمنافقين والجاحدين، وعليه فإن قضية الولاء والبراء قضية مهمة جداً، ركّز فيها النبي ﷺ خوفاً على أمته من ولاء الكافرين واتباع سبيلهم ومنهجهم وطريقتهم، فكان ﷺ يدعو دائماً إلى مخالفتهم حيث يقول: (**خالفوا المشركين**)، (**لا تشبهوا بأهل الكتاب**)، (**لا تشبهوا باليهود والنصارى**) ولكنٍ من المؤسف جداً، أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، تشبهاً باليهود والنصارى، الذين افترقوا إلى ثنتين وسبعين فرقة، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده، قوله عليه الصلاة والسلام (إن أهل الكتابين، افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملّة، وإن هذه الأمة، ستفترق على ثلاث وسبعين ملّة، كلها في النار إلّا واحدة، وهي الجماعة، وإنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء، كما يتجارى الكلب بصاحبه) وكذلك أخبر ﷺ أنه سيكون في أمته مضاهات لليهود والنصارى، ومن يحذو حذوهم، كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**لتتبعن سُنن من كان قبلكم، حذو القذة، بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ **قال: فمن**) .

ويبين هذه الحقيقة ويجلّيها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عندما قال: أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمتاً وهدياً، تعملون عملهم حذو القذة بالقذة، غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا) ومن ذلك ما رواه الزهري عن أبي واقد الليثي أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حديث عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال

لها: ذات أنواط ،فقلنا: يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال -عليه الصلاة والسلام-: الله أكبر، إنها السُنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا إسرائيل لموسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ ولهذا نهى الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ من اتباع أهوائهم ، حيث قال: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (البقرة :١٢٠) ، وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾(الجاثية:١٨، ١٩)، وخاطب الله -سبحانه وتعالى- موسى وهارون بقوله : ﴿ فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾(يونس :٨٩) وقال -تعالى- تحذيراً لعباده المؤمنين: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾(النساء : ١١٥) وقال تعالى لمحمد -عليه الصلاة والسلام- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾(التوبة : ٧٣) .

شروط التعامل مع الكفار:

ولكن قد يقول قائل ، لماذا تحرِّمون التعامل مع الكفار ، وقد كان النبي ﷺ يتعامل معهم في المدينة ، نقول هذا صحيح ، ولكن بشروط ، فعندما وصل النبي ﷺ إلى المدينة ، وضع بينه وبين اليهود معاهدة ووثيقة ، من بنودها :

أولا: ألا يقاتلون المسلمين ، استناداً للآية الكريمة ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾(الممتحنة:٨) فهؤلاء لا بأس أن نتعامل معهم ، أمّا أولئك الذين

يقاتلون ويشردون ، أو أولئك الذين ينتهكون الأعراض والمقدسات ، فهؤلاء لا يمكن أن نتسالم معهم بأي حال من الأحوال ، الآن ما يفعله اليهود والنصارى ، وعلى رأسهم زعيمة الشر في العالم ، هل يمكن أن نسمي ذلك سلاماً ، أو رحمة بالمسلمين ، كلا ، إن ذلك إرهاباً وإجراماً وظلماً ، يمارس في حق الشعوب المسلمة ، وعليه؛ فلا يجوز أن نواليهم من دون المؤمنين ، أو نعقد معهم صفقات تجارية أو عسكرية ، أو نفتح لهم بلاد المسلمين ، لكي ينشؤا فيها قواعدهم العسكرية ، فهذا لا يجوز شرعاً ، لأن الرسول ﷺ يقول : (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب) وليس للمسلمين أن يقبلوا منهم المبررات الكاذبة، تحت ما يسمى التعاون العسكري، أو مكافحة الإرهاب ، أو تدريب الجيوش الوطنية ، فنحن لا نريد من هؤلاء الكفار، أن يدخلوا إلى ديارنا وأوطاننا ، لأن الله عز وجل يقول ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾(الأنفال: ٣٩) لا نريد منهم: تنمية الاقتصاد ، ولا زيادة الإنتاج ، ولا تربية الأجيال ، فعندنا في الإسلام ما يؤهلنا إلى ذلك ، عندنا في الإسلام مصادر القوة والبقاء ، ففي مجال القوة ، عندنا مبدأ الجهاد والإيمان ، وفي مجال الاقتصاد عندنا المضاربة الشرعية والتكافل الاجتماعي بين المسلمين، وعندنا في التربية ، قوله ﷺ: (علموا أبناءكم الصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع)،وعندنا في تنظيم الأسرة ، قوله عليه الصلاة والسلام : (تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم الأمم) وعندنا في مجال الإعلام عالمية الدعوة المحمدية﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنبياء :١٠٧) عالم الإنس وعالم الجن ، وهذه القنوات الفضائية لا تستطيع أن تصل بأفكارها ومعتقداتها كما وصلت إليه رسالة محمد ﷺ .

الخيانة اليهودية :

إذاً النبي ﷺ في المدينة ، عاهد اليهود على الولاء والسمع والطاعة، لكنهم غدروا به ، وقتلوا واحداً من المسلمين في سوق بني قينقاع ، النبي -عليه الصلاة والسلام - في هذا الموقف ، لم يهادن ولم يسكت على بغيهم وفسادهم ، بل قطع معهم العلاقات الدبلوماسية ، والقنوات السلمية، وأعلن الحرب عليهم ، أمّا اليوم: فيقتلون المئآت والعشرات ، بل الآلاف، وما تزال علاقتنا معهم جيدة ومتينة ، بل وطيدة ، يخربون الديار، وينتهكون الأعراض والمقدسات ، وما زلنا نحبهم ونواليهم من دون المؤمنين ، النبي ﷺ قاتلهم وحاصرهم من أجل رجل واحد من المسلمين ، وأخرجهم من المدينة أذلة وهم صاغرين ، لكن المنافق عبد الله بن أبى بن سلول ، الذي كان يقف دائماً في صف الكافرين ويواليهم من دون المؤمنين ، لم يحلو له هذا الجو ، وما رضي بهذه النتيجة المخزية لليهود، فقال: يا محمد ، أَحْسِنْ فِي موالىّ ، فأعرض عنه النبي ﷺ فأدخل يده في جيب درع النبيﷺ وقال: أَحْسِنْ في موالىّ يا محمد ، أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع ، قد منعوني من الأصفر والأحمر ، تحصدهم في غداة واحدة، إني والله إمرئ أخشى أن تصيبنا الدوائر ، فنزل قوله تعالى في شأن هذا المنافق ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (المائدة : ٥١) إذن هذا الموقف الولائي ، لعبد الله بن أُبى بن سلول ، ليس عنا اليوم ببعيد ، فكم من المسلمين اليوم، المحسوبين على الإسلام، يتولون الكافرين ويقفون معهم وفي صفهم وخندقهم، فتجد بعضهم يحترم اليهوديّ أكثر من احترامه للمسلمين ، وكذلك الدول التي تسمي نفسها إسلامية وعربية ، توالي اليهود والنصارى أكثر من ولائها

للمسلمين ، وتعظم القادمين من بلادهم ، وتنزلهم منزلة رفيعة، ولا حول ولا قوة إلّا بالله ، إذاً عجيب لهؤلاء المسلمين ، الله عز وجل يحذرنا من موالاة الكافرين ، فيقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾والرسول ﷺ يحذرنا من ذلك ونحن نحرص على موالاتهم ومحبتهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

التمايز بين المسلمين وغيرهم :

وعليه ؛ فإن الصراع بين الحق والباطل مستمر إلى قيام الساعة ، وإن المعركة بين المسلمين وأعدائهم من اليهود والنصارى ، منذ عهد طويل، منذ أن كان النبي ﷺ في المدينة ، حينما غدروا به ونقضوا العهود والمواثيق، التي أبرموها على أنفسهم ، عند ذلك أمر النبي ﷺ بقتالهم وبغضهم، وترك مودتهم وحبهم ، فاستجاب الله سبحانه وتعالى لرغبة نبيه ﷺ فنزلت الآيات الكريمات ، آمرة بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة في مكة، وذلك لما رواه البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس ، ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر ربه ، فأنزل الله هذه الآية ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾(البقرة : ١٤٤) ، عند ذلك قال السفهاء من الناس ، وهم أهل الكتاب والمشركين ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا ﴾ (البقرة :١٤٢) لقد كان لهذا الحدث العظيم، دويٌّ كبير في المدينة وما حولها ، وكان هذا ، إيذاناً باحتدام المعركة بين الفريقين، ولذلك جاءت الآيات اللاحقة ، تظهر ولاءات اليهود ،ومدى بغضهم للمؤمنين ، حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ

بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ (البقرة :١٤٥)
وكذلك نلاحظ هذا التمايز بين المسلمين وغيرهم من اليهود والنصارى في ميثاق المدينة الذي أبرم بين المسلمين واليهود ، تحت إشراف النبي ﷺ فجاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم :

أولاً: هذا كتاب من محمد بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.

ثانياً: إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.

ثالثاً: إنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو شجار ، يُخاف فساده، فإن مرده إلى الله -عز وجل- وإلى رسوله محمد ﷺوغير ذلك من البنود التي لم نذكرها هنا.

وعليه ؛ فإن هذه الفقرات لا تحتاج إلى تعليق أو توضيح ، فهي واضحة تماماً ، في تحديدها لمبدأ الولاء والبراء ، وأن للمسلمين كياناً خاصاً بهم، يستقلون به ، ولذلك كان أول خطوة خطاها النبي ﷺعند وصوله إلى المدينة ، هو بناء المسجد النبوي الشريف ، وكان هذا الفعل إعلاناً رسمياً باستقلال كيان المسلمين ، وأنهم أصبحوا دولة ذات قوة وسيادة، ثم شُرع الأذان خلافاً لناقوس أهل الكتاب ، ليزيد المسلمين استقلالاً وبهاءً على غيرهم من أمم الأرض ، كما روى ذلك ابن هشام في سيرته عن عبد الله بن زيد ، أنه رأى في المنام رجلاً يحمل ناقوساً ، فقال له: أتبيع هذا الناقوس؟ ،

قال: وما تصنع به؟ قال: ندعوا به إلى الصلاة ، قال: ألا أدلك على خير من ذلك ؟ قال: وما هو ، قال: أن تقول: الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ..... إلخ ، حسب الصيغة المعروفة الآن ، ولّما سمع رسول الله ﷺ هذه الرؤيا ، قال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، ثم أمر بلالاً أن يؤذن بها ، لأنه أندى صوتاً من صاحبه ، ولما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا النداء، خرج من بيته مسرعاً إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: يا نبي الله ، والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل هذا ، فقال عليه الصلاة والسلام: الحمد لله على ذلك).

إذاً أيها الإخوة: بعد هذا التمايز في العبادات ، وهذه المفارقة التي أشار إليها القرآن الكريم ، فهل بعد هذا يصح سلام مع اليهود والنصارى ، وقد أعلنوا حربهم على الإسلام في كل مكان.

نسأل الله -عز وجل- أن يجعل كيدهم في نحورهم ، وأن يدمرهم بأسلحتهم وعتادهم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

OBEIKAN.COM